الفقيه المؤرخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام: حياته وجهوده العلمية

يوسف محمد عبده محمد العواضي

قسم القرآن وعلومه، جامعة المدينة العالمية، شاه علم، ماليزيا

Yousef.mohammed@mediu.edu.my

حاتم فارع علي

مركز الدعوة العلمي ، صنعاء، اليمن

الملخص

برزت إشكالية هذا البحث في أن كثيراً من الدراسات تهتم بدارسة العلماء القدامى، وإبراز دورهم، وبيان فضلهم، وجهودهم، بينما تقل الدراسات عن العلماء المعاصرين؛ فكان هذا البحث المتواضع إسهاماً في إبراز جهود أحد العلماء المعاصرين، وهدف البحث إلى التعريف بالشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام، وبيان جهوده في نشر العلوم الإسلامية، وأثره على طلبة العلم، والمجتمع من حوله، وقد اسْتُخْدِم في هذا البحث المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، في توصيف حياة الشيخ العلمية، وتُوصِّل لعدد من النتائج من أهمها: تنوع العلوم الإسلامية التي تلقاها الشيخ، وتنوع مؤلفاته، ورفده للمكتبة الإسلامية في أكثر من فن، إلا أنه تميز في الفقه والتاريخ، كما أن له الأثر البالغ على طلبة العلم؛ حيث كان له دور بارز في التدريس الجامعي، والمحاضرات، والتأليف، ونشر الأبحاث، وتبين من النتائج أيضاً أنه رحمه الله كان له دور عظيم في توعية المجتمع وفي العمل الخيري.

الكلمات المفتاحية:

طلبة العلم، الحياة، تنوع، مؤلفات، جهود، أثر.

1. المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد: فإن من توفيق الله سبحانه وتعالى للعبد أن يشغله فيما يحب من الطاعات، ومن أفضل هذه الطاعات الاشتغال بالعلم، إذ لا يخفى فضل العلم وما جاء فيه من النصوص الكثيرة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالعلم نور وهداية، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثو العلم، والعلماء هم ورثتهم، وبالعلم تحيا القلوب وتنور الدروب، وتنهض الأمم، وعلم الفقه في الدين من أشرف العلوم قدراً وأعلاها وأعظمها نفعاً؛ ولذلك فقد ندب الله جل وعلا إلى تعلمه بقوله: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:122]، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة في هذا الباب؛ وما ذاك إلا لأهمية التفقه في الدين وتفقيه الناس أمور دينهم، وكما رفع الله جل وعلا من شأن هذا العلم، فقد رفع رجاله المشتغلين به قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11]، وقدر رفعهم الله؛كونهم يعلمون الناس الخير ويبينون لهم أحكام الشريعة الغراء، وقد أنجبت الأمة عبر تاريخها الإسلامي الكثير من العلماء الأفذاذ، الذين بلغوا شأناً عظيماً في مجال العلم والتعليم، والإصلاح والتجديد، حتى ذاع صيتهم في الآفاق، وانتشرت مؤلفاتهم في أرجاء العالم الإسلامي؛ ذلك لما تميزت به من التحقيق والتدقيق، والتجرد من التعصب و التقليد، و فتح باب الاجتهاد بضوابطه، وتعظيم النصوص الشرعية. ومن هؤلاء الأعلام في هذا العصر الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن البسام، الذي صنف المصنفات المتعددة والأبحاث المسددة، ولما كان الشيخ البسّام بهذه المكانة العلمية الرفيعة، فأحببت أن أبين في هذا البحث نبذة عن حياة هذا العلم ومكانته العلمية، فأسأل من الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

2. نبذة عن الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في عصره

1.2 الحياة السياسية:

ولد الشيخ عبد الله البسام قبل الإعلان عن توحيد الدولة السعودية تحت مسمى المملكة العربية السعودية بسنوات، وكانت تلك الفترة وما قبلها مليئة بالاضطرابات والحروب لتثبيت أسس الدولة السعودية، ونجد أن أكثر من كتب في تاريخ الدولة السعودية يقسم مراحل تكوينها إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: وهي مرحلة التكوين والتأسيس وتسمى الدولة السعودية الأولى، وكانت في الفترة ما بين 1157هـ إلى 1233هـ، المرحلة الثانية: وهي مرحلة الظهور في الأحداث السياسية باسم الدولة السعودية الثانية، وكانت في الفترة بين 1240هـ إلى 1309هـ، المرحلة الثالثة: وهي مرحلة اكتمال الكيان السياسي لهذه الدولة، وتسمى الدولة السعودية الثالثة(1)، وكانت بداية فترة الدولة السعودية الثالثة من عام

1319هـ، وهو العام الذي سيطر فيه عبد العزيز آل سعود على الرياض، وبدأ في توسعه وضمه للمناطق حتى أعلن عن توحيد الدولة السعودية في كيان سياسي جديد يحمل اسم المملكة العربية السعودية في منتصف1351هـ. كانت الفترة التي ولد فيها الشيخ البسام وعاش فيها طفولته وشبابه هي فترة اتسمت بالحروب والاضطرابات؛ سواء في بلاده، أو في البلاد العربية بعمومها، أو في العالم بأسره، حيث خاض العالم حربه العالمية الأولى والثانية في تلك الفترة، وجاءت بعدها حروب الاستقلال في الدول العربية، بعد دخول الملك عبد العزيز آل سعود الرياض مع والده عام 1319هـ/1902م، بدأ في توطيد حكمه في المناطق المحيطة به، حيث انطلق جنوباً حتى الربع الخالي، وشرقاً حتى الأحساء، وغرباً للحجاز وغيرها من المناطق، ولم تنته سنة 1925م حتى كانت غالبية الجزيرة العربية تحت سيطرته(2)، وصار ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها، وفي 22 سبتمبر 1932م صدر مرسوم ملكي بتوحيد البلاد باسم المملكة العربية السعودية(3)، وقد عاصر الشيخ البسام عصر الملك عبد العزيز آل سعود وأبنائه من بعده الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، وكانت وفاة الشيخ في أواخر عهد الملك فهد بن عبد العزيز، وعاش المتغيرات السياسية التي تداولت على الدولة السعودية من قبل الإعلان عن اسمها الموحد، مروراً بالتطورات السياسية في كل عهد من عهود المملكة.

2.2 الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

عاش الشيخ عبد الله البسام بين مرحلتين متغايرتين من حيث الوضع الاجتماعي، والوضع الاقتصادي، حيث كان الوضع السابق تغلب عليه حياة البادية، وما يصاحبها من تشتت وفقر وتطاحن وصراع، وبدأت هذه الأوضاع بالتلاشي شيئاً فشيئاً، والانتقال إلى الاستقرار والرخاء، لقد شهد الشيخ البسام بداية التطور الاجتماعي والاقتصادي في المملكة العربية السعودية، حيث بدأت الدولة بتوطين البدو في المدن، ونشر الثقافة بأهمية الزراعة والتجارة والصناعة، عبر برامج إصلاحية مختلفة، وبدأت المملكة تشهد تطوراً عمرانياً واتساعاً في مدنها وحواضرها، لقد تغيرت ثقافة المجتمع وتكويناته بخطوات متسارعة، ولقد عايش الشيخ هذا التطور الاجتماعي والاقتصادي السريع، الذي كان يتطلب جهداً مضاعفاً لمواكبة مستجدات العصر الجديد، والتي تختلف نوعاً ما عن الحياة السابقة، في ما تحتاج إليه من فتيا وعلم في مستجدات كثيرة[4]، ومن المهم لفت الانتباه إلى أن الشيخ تنقل في عدد من المناطق، ولكل منطقة منها بيئتها الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، فقد عاش الشيخ عبد الله البسام بداية حياته ونشأته في منطقة عنيزة، ثم انتقل للدراسة بعد ذلك في الطائف، ثم انتقل إلى مكة المكرمة، ثم إلى الطائف مرة أخرى للعمل في القضاء لمدة ثلاث سنوات، ثم رجع إلى مكة واستقر بها إلى آخر حياته.

3.2 الحياة العلمية

إن الحياة العلمية، والبيئة الثقافية تميزت في العهد الذي عاش فيه الشيخ البسام بعدة ميزات، من أهمها التنوع والتطور، فقد كان التعليم بشكل عام وخاصة التعليم النظامي ضعيفاً ومترديا، في المناطق التي توحدت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، على يد الملك عبد العزيز، بل ويكاد يكون معدوماً في أكثر المناطق التي تغلب عليها حياة البادية، وكان الوضع في الحجاز وما جاورها أفضل من حيث الترتيب والتعليم والمدارس وغيرها[5]، وكان التعليم في أكثر المناطق يعتمد على ما يسمى بالكتاتيب، حيث يدرس القرآن الكريم والقراءة والكتابة وبعض الأساسيات، وكذلك ما يقوم به العلماء من دروس في المساجد، في عدد من الفنون الشرعية واللغة العربية، وكانت في الحجاز عدد من المدارس النظامية،

بعضها حكومي قام بتأسيسه العثمانيون، وبعضها أهلي، وفي بدايات الدولة السعودية تم تأسيس مديرية المعارف العمومية، وكانت في الحجاز، بينما التعليم في نجد مقتصر على المساجد والكتاتيب، وبعد عام 1351هـ اتسعت مديرية المعارف؛ لتشمل مناطق أكثر في عموم المملكة، وأنشئت وزارة المعارف عام 1373هـ، وبدأت الانطلاقة المعرفية وإنشاء المدارس والجامعات والتعليم العالي وغيرها[6]، ولقد واكب الشيخ عبد الله البسام جميع هذه المراحل حيث بدأ تعليمه بالكتاتيب وعاصر جميع التطورات في الحياة التعليمية والثقافية في البلاد، وقد شارك الشيخ في التدريس الجامعي، والدراسات العليا، والتدريس في المعاهد وغيرها، وقد أشار الشيخ البسام في تقديمه لكتاب منهج السالكين إلى شيء من الجانب التعليمي في عصره حيث يقول: أنه في عام 1359هـ، تخرجت أول دفعة من المدرسة العزيزية الابتدائية، في مدينة عنيزة، ولم يكن في عنيزة ذلك الوقت مدرسة متوسطة، ولا معهد علمي، فالشهادة الابتدائية هي أرقى شهادة ينالها الطالب في تلك المدينة، مع أن أغلب أولئك الشباب يرغبون مواصلة الدراسة، لكنهم في سن لا يصلح معها مفارقتهم أهليهم؛ ليدرسوا في المدن الكبرى من المملكة [7].

3. اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته

1.3 اسمه ونسبه

ترجم الشيخ عبد الله البسّام لوالده في كتابه علماء نجد في ثمانية قرون[8]، وترجم لأحد أجداده وهو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله البسام[9]، وكذلك ترجمته لجده صالح بن حمد البسام[10]، وترجم للشيخ عبدالله البسام ولده خالد في مقدمة الكتاب نفسه[11]، وترجم للشيخ كذلك الدكتور أحمد بن عبد العزيز البسام[12]، ومن مجموع هذه التراجم أخذنا اسم الشيخ كاملاً، فاسم الشيخ: عبد الله بن عبدالرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام بن عساكر بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فالشيخ من آل البسّام من سكان عنيزة وينتهي نسبهم إلى الوهبة من بني تميم.

وكنيته: أبو عبد الرحمن وهو أكبر أولاده، وتوفي في حادث سيارة في حياة والده[13]، وأخوال الشيخ هم أسرة أبا الخيل، وهي من الأسر المشهورة والتي ترجع إلى قبيلة عنزة.

2.3 مولده ونشأته وطلبه للعلم

ولد الشيخ عبد الله البسام في عام 1346هـ في مدينة عنيزة في منطقة القصيم[14]، وذكر الدكتور أحمد بن عبد العزيز البسام في مذكرته أنه ولد في عام 1342هـ[15]، ولعل الأرجح هو الثاني؛ لأن ما ذكره ابنه خالد في ترجمته اعتمد فيه على ما كتب في وثائقه الرسمية، ومن المعلوم أنه لم يكن هناك دقة عند تسجيل مثل هذه الوثائق؛ لعدم وجود تسجيل في تلك الأيام بل كانت الأمور تقديرية، بالإضافة إلى أنه أتم حفظ القرآن في عام 1354هـ، فيكون عمره على التقدير الثاني اثنا عشر عاماً وهو سن معقول لحفظ المصحف، بدأ حفظ القرآن في كتّاب الشيخ القرعاوي، ثم درس على والده[16] القرآن وبعض العلوم الشرعية وكان والده كثيراً ما يحثه على تحصيل العلم، ثم لازم الشيخ عبد الرحمن السعدي ودرس عنده العديد من الكتب والعلوم وحفظ مجموعة من المتون ومكث عنده سنوات عديدة، ودرس الفقه كذلك على الشيخ سليمان البسام، والشيخ عبد الرحمن المقوشي، ودرس في العقيدة عند الشيخ محمد العبد العزيز المطوع، إضافة لأصل دراسته التي كانت عند الشيخ السعدي في أكثر من فن وأكثر من كتاب في الفن

الواحد، فنشأة الشيخ رسمت له بقية طريق حياته العلمية المشرقة، حيث وفق فيها لعدد من العوامل التي ساعدت في إبراز هذا العالم الفذ، ومن هذه العوامل: البيئة التي نشأ فيها – وهي مدينة عنيزة– التي كانت معلماً للثقافة والعلم والأخلاق العالية. وكذلك والده الذي كان يحثه على العلم والدراسة ويرغبه فيها، بالإضافة لما أعطاه لولده من العلم والمعرفة التي لديه. ومنها أيضاً: توفيق الله له بملازمة الشيخ عبد الرحمن السعدي وأخذه من علومه وسمته. وكذلك احتكاكه بمجموعة من كبار علماء الأمة ودعاتها، في دراسته في دار التوحيد بالطائف، وفي كلية الشريعة في مكة المكرمة، كما سنذكره في مشايخه وأساتذته الذين درس عليهم. وأخيراً: تنقله في أكثر من منطقة في بداية حياته، فنشأته الأولى في عنيزة، ومن ثم دراسته في الطائف، وبعد ذلك دراسته في كلية الشريعة في مكة، فكل هذا جعله يلتقي بعلماء ذوي طابع متنوع، وثقافات مختلفة.

3.3 مرضه ووفاته

توفي الشيخ ظهر يوم الخميس في السابع والعشرين من شهر ذي القعدة عام1423هـ في مدينة جدة، وكانت الصلاة عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة ودفن في مكة المكرمة في مقبرة العدل، وكان سبب وفاته سكتة قلبية، رحمه الله رحمة واسعة[17].

4. أعماله ومناصبه ومشاركاته

لقد تنوعت أعمال الشيخ عبدالله البسام ومشاركاته ومناصبه، فمنها ما هو في مجال القضاء، ومنها ما هو في مجال التدريس، ومنها ما كان من مشاركات في أعمال علمية، أو دعوية، أو خيرية، وسنشير إلى أبرز هذه الأعمال والمشاركات، وسنصنفها إلى عدد من المجالات .

1.4 أعماله في القضاء

عين قاضياً في المحكمة المستعجلة الثالثة في مكة عام 1375هـ. كما عين رئيساً للمحكمة الكبرى بالطائف عام 1387هـ. ثم قاضياً في محكمة تمييز الأحكام الشرعية للمنطقة الغربية في مقرها في مكة المكرمة عام 1391هـ. ثم رئيساً لمحكمة التمييز في المنطقة الغربية عام1400هـ. ثم تقاعد عن أعمال القضاء عام 1417هـ[18].

2.4 أعماله في التدريس

صار مدرساً رسمياً في المسجد الحرام ومكث في التدريس فيه أكثر من أربعين سنة. وكذلك محاضراً في جامعة أم القرى في مكة المكرمة. ومدرساً في دار الحديث الخيرية. ومدرساً في دار الحديث المكية. بالإضافة إلى دروسه في المساجد في مكة والطائف، وفي مواسم الحج وغيرها[19].

3.4 أعماله ومشاركاته في المجامع العلمية

صار عضواً في كل من : المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي. والمجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية. مجمع الإعجاز العلمي للكتاب والسنة. كما مثّل بلاده ورابطة العالم الإسلامي في كثير من المؤتمرات والندوات في بلدان العالم الإسلامي[20].

4.4 أعماله ومشاركاته الأخرى

وكما شارك في المجامع العلمية، كانت له أيضا مشاركات متعددة في الأعمال الخيرة والدعوية وغيرها، ومنها أنه عُين عضواً في المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية بمكة. ورئيساً للجنة المراقبة الشرعية في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية. ورئيساً لجمعية المبرة الخيرية بمكة المكرمة. ورئيساً للجمعية الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج في مكة المكرمة. وعضواً

في اللجنة الشرعية في شركة الراجحي. وعضواً في تحديد المشاعر المقدسة والحرم المكي الشريف. ورئيساً للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد في جدة. وعضواً في رابطة العالم الإسلامي. وغيرها الكثير من المشاركات والأعمال المختلفة[21].

5. شعره وأدبه

للشيخ عبد الله البسام اهتمام بالأدب والشعر، حيث ساهم في تأسيس نادي أدبي في عنيزة، وشارك في تأسيس النادي الأدبي في دار التوحيد في الطائف، وله محفوظات شعرية كثيرة، وكتَبَ عدة قصائد، وله أبيات نظمها في مصطلح الحديث.

6. شيوخه وتلامذته

1.6 شيوخه

تنوع مشايخ وأساتذة الشيخ عبد الله البسام بتنوع الأماكن التي تنقل فيها، فبدأ في عنيزة، ورحل للطائف، واستقر بمكة المكرمة، وأخذ من بعضهم الكثير، ومن البعض اليسير، وسنذكر هنا مجموعة من مشايخه وأساتذته: الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، وعنده بدأ حفظ القرآن. ووالده الشيخ عبد الرحمن بن صالح البسام، وأكمل عنده حفظ القرآن ودرس عنده التفسير والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والفقه والنحو. والمعلم علي الشحيتان درس عنده القرآن. والشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، وهو أبرز مشايخه وأكثرهم أثراً فيه، ودرس عليه التفسير والحديث والعقيدة وأصول الفقه والفقه والنحو والصرف. والشيخ سليمان إبراهيم البسام، درس عليه الفقه. والشيخ عبد الرحمن المقوشي، درس عليه في الفقه. والشيخ محمد العبد العزيز المطوع، قرأ عليه في العقيدة والنحو. وكذلك درس الشيخ البسام في دار التوحيد بالطائف على عدد من علماء العصر منهم: الشيخ عبد الرزاق عفيفي. والشيخ محمد حسين الذهبي. والشيخ رياض هلال. والشيخ محمد أبو سياد. والشيخ محمد قنديل. والشيخ إبراهيم عيسى. والشيخ عبد الله الصالح الخليفي. وعبد الله السليمان المسعودي. والشيخ محمد عبد الحليم.

وممن درس عليه في كلية الشريعة بمكة المكرمة: الشيخ إبراهيم زيدان درس عليه في التفسير. والشيخ محمد شهبة في التفسير. والشيخ محمد متولي الشعراوي في البلاغة والثقافة العامة. والشيخ خليل هراس في العقيدة. والشيخ أحمد القط في العقيدة. والشيخ علي جبر في العقيدة. والشيخ يوسف الضبع في النحو والصرف والشيخ عبد المعز عبد الستار في الحديث. والشيخ عبد الخالق عظيمة في النحو والصرف. والشيخ علي الهندي في الفقه. وممن استفاد من مجالستهم، وأخذ ما عندهم من الفوائد والأخبار: الشيخ محمد حسين نصيف. والشيخ محمد سرور الصبان. والشيخ ابراهيم المحمد البسام. والشيخ محمد صالح البسام. والشيخ سليمان الصالح البسام. والراوية محمد بن إبراهيم آل معتق. والشيخ إبراهيم العبد الرحمن البسام. والشيخ عبد الرحمن المحمد البسام. والشيخ عبد العزيز المحمد البسام. والراوية محمد العلي آل عبيد. وغيرهم ممن درس عليه وأخذ عنهم[22].

2.6 تلاميذه

تعددت الأماكن التي كان الشيخ يلقي فيها علمه، وقد سبق الإشارة لها، ولهذا فقد كثر تلاميذه وطلابه، وسنذكر هنا بعضاً منهم، من باب الإشارة لا الحصر: الشيخ عبد الرحمن الفوزان. وعبد العزيز بن عبد المحسن آل الشيخ. والشيخ سعود الشريم. والشيخ مشايع محمد الدوسري. والشيخ عبد القادر البغدادي. والشيخ يوسف الحسني. والشيخ زايد الحارثي. والشيخ عبد العزيز بن منسي الزهراني. والشيخ ناصر بن مسفر الزهراني. والشيخ محمد شرف الحلواني. والشيخ خالد بن عبد الله الشمراني. والشيخ حسن بن محمد الحارثي. والشيخ ذياب بن سعيد الغامدي. ومتعب بن مسعود الجعيد. والشيخ خالد

بن مسعود الجعيد. والشيخ عبد الله بن فيصل الأهدل. والشيخ الدكتور وليد بن خالد الشايقي. والشيخ الدكتور محمد بن إبراهيم آل إبراهيم. والشيخ أحمد بن عبد الكريم عاشور. والشيخ عبد الرحمن بن محمد الدخيل. والشيخ محمد بن عبد الكريم المهنا. والشيخ صالح الحويس. والشيخ محمد عبد الله الربيعة. والشيخ مساعد بن محمد الحسن. والشيخ سلطان بن معيوض العصيمي. والشيخ أحمد بن عبد الله الغامدي. والشيخ خالد بن سليمان الحوّيس. والشيخ هاني بن أحمد بن عبد الشكور. ومحمد بن سليمان السريحي. والشيخ علي بن يوسف آل خوجة. وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم[23].

7. تعدد مؤلفاته ومصنفاته

اختلفت اهتمامات الشيخ عبد الله البسام وانشغالاته في عدد من المجالات؛ فكان منشغلاً بالتدريس والتعليم والإفتاء، وكذلك بالأعمال الإدارية في مناصبه التي عمل بها، وبالقراءة والاطلاع، وبالكتابة والتأليف، فلم يكن الشيخ متفرغاً لمجال التأليف فحسب، ومع هذا فقد أوجد مخزوناً علمياً انتفع به طلاب العلم وعامة المسلمين، وقد ساعده في ذلك ما يتمتع به من قلم سيّال، وذهن وقّاد، وخزينة علمية واسعة. وفي مجال التأليف كان يتنازع الشيخ عدد من العلوم والفنون ولكن أبرزهما علميّ التاريخ والفقه، فالشيخ البسام يصدق عليه وصف الفقيه المؤرخ؛ لما كان لهذين العلمين من اهتمام بالغ في حياته. ومؤلفاته ومصنفاته منها المطبوع لأكثر من مرة، ومنها ما طبع لمرة واحدة، ومنها لا يزال مخطوطاً، ومؤلفاته المطبوعة هي كما يلي:

1.7 مؤلفاته في العقيدة

[شرح على كشف الشبهات]: وهو تعليقات على كتاب كشف الشبهات في العقيدة طبع في عام 1373هـ/1952[24].

2.7 الحديث وعلومه:

من مؤلفاته في الحديث: [تيسير العلّام شرح عمدة الأحكام]: وهو شرح لكتاب عمدة الأحكام للإمام عبد الغني المقدسي، وكتاب تيسير العلاّم من أشهر كتب المؤلف وأكثرها انتشاراً، فهو يدرس في كثير من المعاهد والمراكز والجامعات في أنحاء العالم، وقد ترجم لأكثر من لغة[25].

ومن مؤلفاته في هذا المجال أيضاً: [خلاصة الكلام على عمدة الكلام]: وهو اختصار لكتاب تيسير العلام، كما ذكر في مقدمة خلاصة الكلام حيث قال: فهذه خلاصة على هذه العمدة لخصتها من شرحي الكبير عليها (تسير العلام)؛ لتكون على قدر الطلاب الذين شغلوا بكثير من مواد العلوم[26]، وقد فرغ من تأليف الكتاب في عام 1379هـ، وطبع عام 1382هـ.

ومنها كذلك:[توضيح الأحكام من بلوغ المرام]: وهو شرح لكتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ بن حجر العسقلاني. وكتاب التوضيح كذلك من الكتب التي اشتهرت، وقد ذكر المؤلف سبب تأليفه في مقدمة توضيح الأحكام حيث قال: وزاد في إقدامي على شرح هذا الكتاب أمران: أحدهما: ما لمسته من إقبال على شرحي على عمدة الأحكام المسمى تيسير العلام، واختياره في تدريس مادة الحديث في كثير من دور العلم، الثاني: أن الشروح المتداولة لـ"بلوغ المرام" غير مرتبة ولا منسقة، وطريقة تأليفها يخالف النهج الذي تسير عليه المعاهد والجامعات الآن[27].

ومنها:[الهدية السنية في متممة البيقونية]: وهو عبارة عن استدراك من المؤلف على نظم البيقونية في مصطلح الحديث، انتقاه واختاره من ألفية السيوطي، مع شيء من نظمه، وقد طبع في جدة عام 1405هـ[28].

3.7 مؤلفاته في الفقه

من أهم مؤلفاته في الفقه: [نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب]: وهو تهذيب لكتاب هداية الراغب لشرح عمدة الطالب في الفقه الحنبلي للفقيه المحقق عثمان بن أحمد النجدي المتوفي سنة 1098هـ، وقد طبع الكتاب مستقلاً، ومع الاختيارات الجلية.

يقول الشيخ عن عمله في الكتاب: فعمدت إليه فهذبته وشذبته وزدته وقربته؛ ليكون تبصرة للمبتدئ، وتذكرة للمنتهي[29].

وكتاب: [الاختيارات الجلية في المسائل الخلافية]: وهو مطبوع مع كتاب نيل المآرب في أربعة مجلدات، قال الشيخ البسام: و(الاختيارات) جاءت لتبيين الصحيح من حيث الدليل في هذه المسائل الخلافية، وتزيد الكتاب فوائد لا بد من وجودها، وقد عنيت بالمسائل الهامة المتداولة بين الناس، واستبعدت المسائل التي يندر وقوعها وتقل الحاجة إليها[30].

وكتاب:[حاشية على عمدة الفقه]: وهي حاشية على كتاب عمدة الفقه لموفق الدين بن قدامة الحنبلي. قال الشيخ في مقدمة الكتاب: فوضعت عليه هذه الحاشية لفك بعض ما يعسر فهمه على الطالب، أو رد بعض الأحكام إلى دليل أو تعليل، مع ذكر بعض الفوائد اللازمة [31].

وكتاب:[القول الجليّ في زكاة الحليّ]: قال المؤلف في سبب تأليفه: لم أقصد كتاباً مستقلاً و إنما كنت أشرح بلوغ المرام فوصلت بشرحي إلى أحاديث زكاة الحلي، ولكون هذه المسألة شغلت أذهان كثير من المسلمين، وكثر السؤال عنها، فقد طال بحثي فيها عن بقية مسائل الخلاف التي تعرض في هذا الشرح، فلما رأيت البحث طال عزمت أن أفردها عن الكتاب؛ ولتكون رسالة خاصة بهذه المسألة[32]،وقد طبع الكتاب في عام 1414هـ [33].

وكتاب: [رسالة في الفرائض]: وهي من رسائله القديمة، وقد طبعت مرة واحدة [34].

7. 4 مؤلفاته في الثقافة الإسلامية:

ومن مؤلفاته في الثقافة الإسلامية: [تقنين الشريعة أضراره ومفاسده]: وهي رسالة صغيرة، كانت في بدايتها مقال نشر في إحدى الصحف، ثم طبعت كرسالة مستقلة عام 1379م[35]. ورسالة بعنوان [تنبيه ذوي الأبصار عما في كتاب الذخائر المحمدية من الأضرار]: رد فيها على الشيخ محمد علوي مالكي، في مسألة الاحتفال بالمولد النبوي [36].

ورسالة أخرى بعنوان:[الدين الإسلامي كفيل بتحقيق المصالح]: وهي رسالة طبعت لمرة واحدة [37].

7. 5 خامساً: التراجم والتاريخ:

ومن مؤلفاته في التراجم والتاريخ: كتاب: [علماء نجد خلال ستة قرون]: يقول الشيخ في أصل هذا الكتاب: فقد كنت قد بدأت بتاريخ لبلاد نجد... وقد قسمت هذا التاريخ إلى ثلاثة أقسام: أ-تراجم للعلماء والملوك ومشاهير الأمراء والفرسان والشعراء وغيرهم. ب-أخبار نجد الحربية والسلمية والسياسية والعمرانية والاقتصادية. ت-أنساب القبائل القحطانية والعدنانية ومحاولة التغلغل في أصولها وقد قطعت كثيراً في مراحله، إلا أن مهام أعمال القضاء وشؤون الحياة أطالت مدة انتظاره، فاختزلت منه قسم تراجم العلماء لأقوم بنشره[38]، وقد طبع الكتاب طبعته الأولى سنة 1398هـ وقد كان فرغ من تأليفه قبل ذلك بسنوات.

وكتاب [علماء نجد خلال ثمانية قرون]: وهو توسيع وتعديل للكتاب السابق، وبين الكتابين قرابة ربع قرن في صدورهما، والفارق أن الكتاب الجديد حوى ما يلي: تعديل الأخطاء المطبعية والمعنوية في الكتاب السابق. كما أنه زاد عدد التراجم فيه من 338 إلى 900 ترجمة. وفيه زيادة الفترة الزمنية من ستة قرون إلى ثمانية قرون. كما أنه ذكر فيه من لم يبلغوا درجة العلماء المشهورين، ممن كان له جهود في العلم والتعليم[39].

وله أيضاً: كتاب [خزانة التواريخ النجدية]: وهي مجموعة تاريخية حوت عدداً من التواريخ النجدية المخطوطة والمطبوعة،

كما أشار لذلك الشيخ البسام في مقدمة الكتاب[40]، والكتاب يتكون من عشرة أجزاء في ستة مجلدات.

8. أثر الشيخ على طلاب العلم والدارسين والمجتمع.

لقد كان للشيخ عبد الله البسام رحمه الله أثر بالغ في مسيرة الحركة العلمية والمجتمع؛ وذلك من خلال تدريسه وتأليفه ومشاركاته العلمية والخيرية والدعوية والإدارية كما سبق وأن أشرنا؛ فقد واكب جميع مراحل التعليم في بلاده؛ حيث بدأ تعليمه بالكتاتيب؛ وعاصر جميع التطورات في الحياة التعليمية والثقافية في البلاد، وقد شارك الشيخ في التدريس الجامعي، والدراسات العليا، والتدريس في المعاهد وفي الحرم المكي وغيرها، وله عدد كبير من المقالات والأبحاث سواء في المجلات المحكّمة، أو الصحف والمجلّات الأخرى، بالإضافة للأبحاث والأوراق التي شارك فيها في المجمعات الفقهية والمؤتمرات الإسلامية، كما أن وللشيخ مكتبة صوتية كبيرة لدروسه في الحرم المكي الشريف، بالإضافة لما يلقيه في الإذاعة والتلفزيون[41]، واختلفت اهتمامات الشيخ عبد الله البسام وانشغالاته في عدد من المجالات؛ فكان منشغلاً بالتدريس والتعليم والإفتاء، وكذلك بالأعمال الإدارية في مناصبه التي عمل بها، وبالقراءة والاطلاع، وبالكتابة والتأليف، فلم يكن الشيخ متفرغاً لمجال التأليف فحسب، ومع هذا فقد أوجد مخزوناً علمياً انتفع به طلاب العلم وعامة المسلمين، وقد ساعده في ذلك ما يتمتع به من قلم سيّال، وذهن وقّاد، وخزينة علمية واسعة، وفي مجال التأليف كان للشيخ عدد من المؤلفات والمصنفات التي كان لها الأثر في المجال العلمي والأكاديمي ومن أهمها كتابه تيسير العلّام شرح عمدة الأحكام الذي يعتبر من أشهر كتب المؤلف وأكثرها انتشاراً، فهو يدرس في كثير من المعاهد والمراكز والجامعات في أنحاء العالم، وقد ترجم لأكثر من لغة، وكذلك كتابه توضيح الأحكام من بلوغ المرام وهو كذلك من الكتب التي اشتهرت، وقد ذكر المؤلف أنه أراد أن يصيغه وفق الطريقة التي تسير عليها المعاهد والجامعات الآن، ولقد تنوعت أعمال الشيخ عبدالله البسام ومشاركاته ومناصبه، فمنها ما هو في مجال القضاء، ومنها ما هو في مجال التدريس، ومنها ما كان من مشاركات في أعمال علمية، أو دعوية، أو خيرية كما سبق الإشارة إلى ذلك، وقد كان لمشاركته في المجامع الفقهية والمؤتمرات الإسلامية المختلفة دور كبير في لقائه بعدد كبير من علماء العالم الإسلامي من مختلف الدول، وما يصاحبها من نقاشات وتعارف، فالشيخ كان عضواً في المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة، وعضواً في مجمع الإعجاز العلمي للكتاب والسنة، وشارك في كثير من المؤتمرات والندوات في بلدان العالم الإسلامي. وأما أثره البارز في خدمة المجتمع من خلال العمل الخيري فلا يخفى على أحد، فقد كان الشيخ مهتماً بهذا المجال ويعطيه جزء كبير من وقته وجهده؛ فالشيخ كان رئيساً للجنة المراقبة الشرعية في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ورئيساً لجمعية المبرة الخيرية بمكة المكرمة، ورئيساً للجمعية الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج في مكة المكرمة. ورئيساً للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد في جدة.

9. الخاتمة:

وتشتمل على النتائج التالية: تنوع معارف، وعلوم، الشيخ البسام وكذلك تنوعت منافعه لمجتمعه وذلك بسبب تنقله في عدد من المناطق، المختلفة من حيث بيئتها الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، وكذلك بسبب تنوع مشايخه وأساتذته، وتنوع مجالات عمله. كما أن الحياة التعليمية، والبيئة الثقافية تميزت في العهد الذي عاش فيه الشيخ البسام بعدة ميزات، من أهمها التنوع والتطور، وقد

واكب الشيخ مراحل هذا التطور والتنوع وتأثر فيه وأثر في الآخرين من خلاله، وقد ساعدت عدة عوامل في إبراز هذا العالم، ومن هذه العوامل: البيئة التي نشأ فيها – وهي مدينة عنيزة – التي كانت معلماً للثقافة والعلم والأخلاق العالية. والده الذي كان يحثه على العلم والدراسة ويرغبه فيها، بالإضافة لما أعطاه لولده من العلم الذي لديه، في أكثر من فن من فنون العلم. توفيق الله له بملازمة الشيخ عبد الرحمن السعدي وأخذه من علومه وسمته. احتكاكه بمجموعة من كبار علماء الأمة ودعاتها، في دراسته في دار التوحيد بالطائف، وفي كلية الشريعة في مكة المكرمة. تنقله في أكثر من منطقة في بداية حياته، فنشأته الأولى في عنيزة، ومن ثم دراسته في الطائف، وبعد ذلك دراسته في كلية الشريعة في مكة، فكل هذا جعله يلتقي بعلماء ذوي طابع متنوع، وثقافات مختلفة. كما أن من النتائج التي توصل إليها البحث: أنه كان يتنازع الشيخ في التأليف عدد من العلوم والفنون، وقد تعددت مؤلفاته، ولكن أبرزها علميّ التاريخ والفقه، وجدير به لقب الفقيه المؤرخ.

---

[1] درويش، مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ط 10، ص 9 وما بعدها.

[2] الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط1 ، ص 103 وما بعدها ، وسيد، محمد بن أحمد – العلوي، عبده بن أحمد، محمد نصيف حياته وآثاره، ط1، ص 65.

[3] درويش، مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ط 10، ص 10.

[4] السبيعي، شافي بن مذكر، منهج الشيخ عبد العزيز بن باز في القضايا المستجدة، ، ط 1، ص 28.

[5] سيد، محمد بن أحمد – العلوي، عبده بن أحمد، محمد نصيف حياته وآثاره، ط1، ص 100.

[6] العثيمين، عبد الله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ط 8، 323/2، والسباعي، أحمد، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ط بدون، 698/2.

[7] السعدي، عبدالرحمن، مقدمة كتاب منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، ط 1، ص 5.

[8] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، 61/3.

[9] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، (528/1).

[10] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، (449/2).

[11] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، (81/1).

[12] الدكتور أحمد بن عبد العزيز البسام، المدرس بقسم التاريخ في جامعة القصيم، زرته في منزله في مدينة عنيزة، وأخبرني أنه بصدد

إخراج ترجمة للشيخ عبد الله البسام ولكنها ما زالت مسودة، وقد أتحفني بإعطائي جزء من ترجمة الشيخ البسام، يقارب المئة صفحة، كانت من أهم المراجع التي استفدت منها في دراسة حياة الشيخ عبدالله البسام، فجزاه الله خيراً، وبارك الله في علمه.

[13] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، 112/1.

[14] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، 81/1.

[15] البسام، أحمد عبدالعزيز، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ص 1 .

[16] البسام، أحمد عبدالعزيز، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ص3

[17] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، 121/1 .

[18] المصدر السابق ، 95/1 .

[19] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[20] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[21] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[22] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ثمانية قرون، ط 2، 89/1 وما بعدها.

[23] المصدر السابق، 108/1 .

[24] المصدر السابق، 107/1.

[25] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[26] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، خلاصة الكلام على عمدة الكلام، ط بدون، ص 5.

[27] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ط 5، 106/1 .

[28] من قاعدة بيانات مكتبة الملك فهد الإلكترونية، من موقع المكتبة على الأنترنت، www.kfnl.org.sa.

[29] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب، ط 3 6/1 .

[30] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، الاختيارات الجلية في المسائل الخلافية، مطبوع مع كتاب نيل المآرب، ط 3، 8/1 .

[31] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، حاشية على عمدة الفقه، ط3، ص 8 .

[32] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، القول الجليّ في زكاة الحليّ، ط 1، ص 3 .

[33] البسام، أحمد عبدالعزيز، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ص95.

[34] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[35] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، تقنين الشريعة أضراره ومفاسده، ط بدون، ص3 .

[33] البسام، أحمد عبدالعزيز، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ص95.

[36] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[37] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد في ستة قرون، ، ط 1، 12/1 .

[38] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط 2، 26/1.

[39] البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، خزانة التواريخ النجدية، ط 1 ، 7/1 .

[40] البسام، أحمد عبدالعزيز، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ص96 .